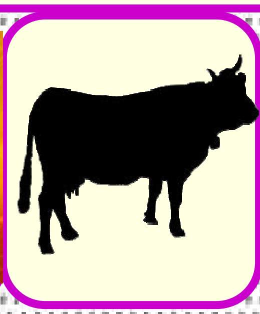
لا إله إلا الله



لا أعبد ما تعبدون

تفسير سورة الكافرون

للشيخ هاني حلمي
حفظه الله

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمد لله وكفى وصلَّ الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وآله المستكملين الشرفَ

ثم أما بعد،

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يُعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علمًا ينفعنا.

اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسِّكنا بالإسلام حتى نلقاك عليه،

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك على حِلمك بعد علمك، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك على عفوك بعد قُدرتِك.

نتناول بالدرس والتدبر سورة الكافرون

وهي سورة مكية عدد آياتها ست آيات، هذه السورة هي سورة التوحيد والبراءة من الشِرك والضلال التي وضعت الحد الفاصل بين الإيمان والكُفر، فقد دعا المُشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المُهادنة وطلبوا منه أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة فنزلت السورة تقطع أطماع الكفار وتنفض الغبار عن هذا الصراع والنزاع بين فريقي المؤمنين والكافرين إلى الأبد.

عن جابر أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة وبـ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص/1] في ركعتي الطوَّاف.
وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر.
وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعة وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون / 1] و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص/1].

فضل سورة الكهف

هذه السورة أيضًا مما ورد فيها وفي فضلها أنها تُقرأ قُبيل النوم فقد روى الترمذي والإمام أحمد في مسنده وأبو داوود والدارمي والحاكم أن رجُلاً قال للنبيﷺ : أوصني. قال : اقرأ عند منامك {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون / 1] فإنها براءة من الشِرك.

وكان ابن عباس يقول : ليس في القرآن أشد غيظًا لإبليس منها لأنها توحيد وبراءة من الشِرك.

وقال الأصمعي كان يُقال لـ {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون / 1] و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص/1] المُقشقشتان -أي التي تُبرئ من النفاق- ، والأصل في هذا اللفظ لمعنى يُقال يُقشْقِشُ الهناء أي يُبرئ. معنى كلمة المُقشقشتان أي المُبرءتان، فـ{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص/1] و{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون/1]، كما ذكرنا هما من السور التي يدور عليها مدار التوحيد مدار الولاء والبرَّاء وهو قاعدة أصيلة في عقيدتنا فهذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي سورة تأمر

بالإخلاص ولذلك كان بعض أهل العلم يسميها بهذا الاسم يسميها سورة الإخلاص فتُسمى بسورة الكافرون، سورة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} سورة العبادة، سورة المُنابذة، سورة الدين {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون / 6] وقل لو تُسمى كذلك بهذا الاسم باسم سورة الإخلاص كذلك.

قال الله تبارك وتعالى{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون / 1]،

هذا يشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن الموجهون بهذا الخطاب كانوا كُفّار قُريش

وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى هذا الصنيع بأن يعبد أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة؛ فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله ﷺفيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية

تفسير الآيات

{لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون / 2] يعني من الأصنام والأنداد، {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 3] وهو الله وحده لا شريك له فـ{...مَا...} هنا بمعني مَن، أي من أعبد {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ} [الكافرون / 4] {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 5] أي ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقتدي بها وإنما أعبد الله على الوجه الذي يُحبه ويرضاه ولهذا قال{وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} أي لا تقتدون بأوامر الله ولا بشرعه بل قد اخترعتم شيئًا من تلقاء أنفسكم كما قال سبحانه وتعالى {...إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى} [النجم / 23]، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه فإن العابد لابد له من معبود يعبده وعبادة يسلُكها إليه فالرسول ﷺوأتباعه يعبدون الله بما شرع ولهذا كانت كلمة الإسلام لا إله إلا الله محمَّدٌ رسول الله ﷺ أي لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به رسول الله ﷺ،

والمشركون يعبدون غير الله،عبادة لم يأذن بها الله ولهذا قال لهم الرسول ﷺ {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون / 6]، كما قال سبحانه وتعالى {وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ} [يونس / 41] وقال {...لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ...} [الشورى / 15] قال البخاري يُقال {لَكُمْ دِينُكُمْ...} أي الكُفر {...وَلِيَ دِينِ} أي الإسلام ولم يقل ديني إنما {...وَلِيَ دِينِ} قالوا لأن الآيات بالنون فحُذِفت الياء كما قال {...فَهُوَ يَهْدِينِ} [الشعراء / 78] {...يَشْفِينِ} [الشعراء / 80] وقال غيره{لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون / 2] الآن ولا أُجيبكم فيما بقى من عمري {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 3] وهم الذين قال فيهم {...وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً...} [المائدة / 68] ونقل ابن جرير عن

بعض أهل العربية أن ذلك من باب التوكيد كقول الله تبارك وتعالى {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً} [الشرح / 5] {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً} [الشرح / 6]، وكقوله سبحانه وتعالى {لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ} [التكاثر / 6] {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ} [التكاثر / 7]، فإذًا إما أنه من باب التوكيد أو أن المعنى {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون / 2] {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 3] في الماضي {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ} [الكافرون / 4] في المستقبل، أو أن المُراد{لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون / 2] نفي الفعل لأنهما جملة فعلية {لَا أَعْبُدُ...} {وَلَا أَنَا عَابِدٌ...} نفي قبوله لذلك بالكلية لأن النفي الثاني كان لجملة أسمية فالأول نفي الفعل (لا يحصل هذا) (ولا أقبل بمثل ذلك) فيكون النفي بهذا نفيًا كاملا لحصول هذا الأمر .

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون / 1] قالوا في تدبرها انظروا لماذا قال الله تبارك وتعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} ولم يقل مثلا قل للكافرين وإنما قال {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} قالوا لأن هذا أبلغ في إغاظة هؤلاء الكافرين فلم يقل (قل للكافرين لا أعبد ما تعبدون) وإنما قل لهم (أنتم يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) فهو يعلم أنهم يغضبون من أن يُنسبوا إلى الكُفر ويدخلوا في جُملة أهله ولكن هذا من باب قول الله تبارك وتعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...} [التوبة / 73] والنبي ﷺ محروس ممنوع من أن تنبسط عليه منهم يد أو أن يأتيه من قبلهم أذية كان بعض المُخَرِّفين يقول أن السورة ما نزلت هكذا، هل تعرفون ذاك الرجل المعتوه الذي قال عليكم أن تحذفوا من القرآن كلمة (قل) لأن (قل) هذه من قِبل الله لنبيه فينبغي حذفها أي (قل يا محمد يا أيها الكافرون) فيحذف (قل) من كل القرآن.

أيضًا بعض المهوِّسين كان يقول إن السورة لم تكن هكذا ويطعن في القرآن ويقول وإنما الصحيح (قل للذين كفروا لا أعبد ما تعبدون) ويزعُم أن هذا هو الصواب.

قال أبو بكر ابن الأنباري وذلك افتراءًا على رب العالمين وفيه تضعيف لمعنى هذه السورة

وإبطال ما قصده الله من أن يُذل نبيّه المشركين بخطابه إياه بهذا الخطاب الذي فيه من القوة ما فيه، وإلزامهم ما يأنفون منه وذلك أن الذي يدعيه من اللفظ الباطل هذا لا يؤدي هذا المعنى القوي {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون / 1] فهذا كما قلت أبلغ في إغاظ هؤلاء فـ{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون / 1] فيها من القوة وفيها من إغاظة أهل الكُفر ما فيها.

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون / 1] {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون / 2] قالوا كرر هذا اللفظ "لا أعبد ما تعبدون" لأن القوم كرروا عليه ما قالوه مرة بعد مرة فكان الجواب مُكررًا لذلك، وقيل إنما كرر بمعنى التغليظ وقالوا لا أعبد الساعة ما تعبدون ولا أنتم عابدون الساعة -أي الآن- ما أعبد ثم قال (ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم) (ولا أنتم في المستقبل عابدون ما أعبد) وهذا ما ذهب إليه بعض أئمة اللغة كالأخفش والمُبرد، وقيل إنهم كانوا يعبدون الأوثان فإذا ملوا وثنًا وسئموا العبادة له رفضوه ثم أخذوا وثنًا غيره لشهوة نفوسهم فإذا مروا بحجارة تعجبهم ألقوا هذه ورفعوا تلك فعظّموها ونصبوها ألهه، فأمر النبي ﷺ أن يقول لا أعبد ما تعبدون اليوم من هذه الألهه التي بين أيديكم ثم قال {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 3] وإنما تعبدون الوثن الذي اتخذتموه وهو عندكم الآن {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ} [الكافرون / 4]، أي بالأمس من الألهه التي رفضتموها وأقبلتم على هذه {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 5]، فإني أعبد إلهي وقيل {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون / 2] {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 3] في الاستقبال، وقوله {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ} [الكافرون / 4] على نفي العبادة منه يعني في الماضي قوله {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 5]، على التكرير في اللفظ دون المعنى من قِبَل أن التقابل يوجب أن يكون (ولا أنتم عابدون ما عبدتُ) فعدل عن لفظ عبدت إلى لفظ أعبد إشعارًا بأن ما عُبِدَ في الماضي هو الذي يُعبَدُ في المستقبل مع أن الماضي والمستقبل قد يقع أحدهما موقع الآخر.

الخلاصة

إذًا خُلاصة كلام المُفسرين في ذلك أن هذه الآيات بينت بشكل قطعي **نفي عبادة كل ما سوى الله تبارك وتعالى** سواء في الماضي أو في المستقبل سواء على التأكيد والتوكيد لهذا المعنى سواء أن هذا من باب التكرار في مقابل تكرار كلامهم، سواء هذا وذاك السورة تدور حول هذا المعنى الأصيل في نفي عبودية الله تبارك وتعالى وهي سورة من سور توحيد الألوهية في القرآن، **توحيد العبادة لله تبارك وتعالى وهو الذي يلي توحيد الربوبية.**

تأمُـــل

ولو تأملنا العلاقة ما بين السور رأينا في سورة الكوثر قول الله تبارك وتعالى : {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر / 2] وفيها إثبات لربوبية الله ومعلوم أن

توحيد الربوبية غير كافٍ للدخول فالإسلام فإن توحيد الربوبية قد أقر به الشيطان {...رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي...} [الحجر / 39]، وأقر به الكفار {...مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...} [الزمر / 3]، فأقروا... {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...} [لقمان / 25]، فهم يُقرون بأن الله هو الخالق وهذا مُقتضى توحيد الربوبية هو الخالق المُدبر الرازق سبحانه وتعالى، مُدبِّر الأمر وهو الذي يُحيي ويُميت كما بيّنا في دروس العقيدة، ومعلوم أن توحيد الألوهيه يترتب على توحيد الربوبية

فسورة الكافرون التي فيها تقرير لتوحيد العبادة توحيد العبادة- الألوهيه- مُترتبة على سورة الكوثر التي فيها إخلاص الربوبية لله تبارك وتعالى

قال تعالى {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر / 2]،فهناك ذكر الربوبية وبيّن أن حقها الألوهية ،أن الألوهيه حقها العبادة فصلِّ وانحر وهنا جاء بعقيدة الولاء والبراء والتي هي أيضًا تدخل تحت هذا النوع من أنواع التوحيد

توحيد العبادة لله تبارك وتعالى فلا نعبد إلا الله لا نحبُ إلا الله ولا نذّلُ إلا لله

كمال العبودية (لا أعبد) كلمة العبادة مدارها على هذه الأمور كمال الحب مع تمام الذل لله تبارك وتعالى على جهة التعظيم والإجلال لله تبارك وتعالى.

وهي مُقتضى (سبحان الله) الذي تقتضي الذل لله تبارك وتعالى، فعندما يُسبح الإنسان منّا لله تبارك وتعالى المُفترض أنه يُنزهه عن العيوب وهذه العيوب يراها في نفسه فيذل لله تبارك وتعالى.

ومُقتضى (الحمد لله) التي هي الحب لله لأنه يحمده على النعمة ومن عرف نعمه أحبه.

ومُقتضى (الله أكبر) على جهة التعظيم والإجلال لله تبارك وتعالى.

فسبحان الله والحمد لله والله أكبر التي يقولها الإنسان دُبُر الصلوات ويختم بـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في هذا التوحيد في كلماتٍ قليلات يذكرها الإنسان ويُجدد بها توحيده.

ســــؤال

لماذا سورة الكافرون يقرأها الإنسان في ركعتي الفجر ويقرأها الإنسان في ركعتي بعد المغرب ؟

قالوا لتجديد الإيمان في هذين الوقتين عند أول النهار وعند أول الليل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص / 1]، سورة فيها بيان التوحيد وسورة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون / 1] سورة تُبين الولاء والبراء، وكما قلت عليها مدار مسألة التوحيد.

تفسير ابن القيم

ابن القيم رحمه الله شرح هذه السورة وتكلم حولها بكلام ماتع جدًا لكن سيحتاج منّا بعض التوضيح، ابن القيم شرح ذلك في كتاب (بدائع الفوائد)، سأختصر كلامه ونضع مجموعة الفوائد التي أشار بها رحمه الله حول هذه السورة لتكون هي الفوائد الإيمانية والتربوية والعقدية من هذه السورة.

قال رحمه الله كلمة {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون / 2]، (ما) على بابها لأنها واقعة على معبوده ﷺ على الإطلاق لأن امتناعهم من عبادة الله ليس لذاته بل كانوا يظنون أنهم يعبدون الله ولكن كانوا جاهلين بذلك فـ{لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون / 2] {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 3] قال ليكون في ذلك بيان إلى أنهم {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...} [لقمان / 25] كانوا يظنون أنهم يعبدون الله وبطبيعة الحال توحيد الربوبية وحده غير كاف -كما قلت- فجاءت هذه السورة لتُبين أمر توحيد العبادة لله تبارك وتعالى فإذًا {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(2). وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(3)} [الكافرون]، قالوا (ما) مصدرية ما معنى هذا ؟ أي {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ}أي لا تعبدون عبادتي ويلزم من تبرأتهم من عبادتي تبرأتهم من المعبود.

أي أني أبرأ إلى الله تبارك وتعالى من معبودكم ومن عبادتكم الإثنين معًا.

وقالوا أنهم كانوا يقصدون محالفة النبي ﷺ حسدًا له وأنفة من اتباعه فهم لا يعبدون معبوده لا كراهية لذات المعبود ولكن كراهية لأن يتبعوا النبي ﷺ، وكانوا يحرصون على مُخالفته في العبادة...انتبهوا هكذا شأن الكُفار يحرصون على المُخالفة فعندما نقول ككلام شيخ الإسلام ابن تيمية اقتضاء الصراط المستقيم في مُخالفة أصحاب الجحيم وأنه من الأمور التي ينبغي أن يتعبد بها المسلمون ربهم مُخالفتهم للكفار سواء في زيهم، أو في طريقتهم، أو في عادتهم، أو في أمورهم،

هذا أمر من الأمور الأصيلة في ديننا. الكُفار يحرصون على التميُّز وأنتم أيها المسلمون لماذا لا تتميزون عن أولئك الكفار، لماذا تُقلودنهم وتتبعونهم

قال النبي ﷺ (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه . قلنا : يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن).[الراوي: أبو سعيد الخدري المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 3456خلاصة حكم المحدث: صحيح] فإذًا على هذا الاعتبار ينبغي أن يحرص العبد وهذا درس مهم جدًا من دروس سورة الكافرون.

دروس مستفادة

الدرس الأول : مُخالفة أصحاب الجحيم، مُخالفتهم فهذا مما يتميز به أهل الإسلام.

{لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(2). وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(3)} [الكافرون]، ابن القيم يقول أيضًا أن ها هنا فائدة كونه كرر الفعل في حق نفسه بلفظ المُستقبل في الموضعين وأتى في حقهم بالماضي أي معهم قال : {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ}[الكافرون / 2]، {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ} [الكافرون / 4]، وفي شأنه قال: {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 3] {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 5] كرر ذلك فكرر الفعل في حق نفسه بلفظ المستقبل وفي حقهم جاء بالماضي، وهذا جاء في نفي عبادة معبودهم بلفظ الفعل المستقبل وجاء في نفي عبادتهم معبوده باسم الفاعل عابدٌ، وهذا له سر لأنها كما قلت طريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات فينفي عبادة ما سوى الله ويُثبت عبادته وهذا هو حقيقة التوحيد لا إله إلا الله، فهذا نفي (لا إله) وإثبات (إلا الله) فحقيقة لا إله إلا الله دائرة بين هذا وذاك، النفي التام والإثبات لله تبارك وتعالى.

وهذه السورة اشتملت على جنسين من الأخبار:

أولاً: براءته من معبودهم وبراءتهم من معبوده وإخبار بأن لهه دين ولهم دين، شيئين أساسيين : نفيَّت المعبود الذي يعبدونه، ونفيَّت طريقة العبادة التي يعبدون بها، ونفت دينهم الذي ارتضوّه، وفي المقابل أثبتت المعبود الله تبارك وتعالى والعبادة له المحضة سبحانه وتعالى، حقه في هذا توحيد العبادة لله تبارك وتعالى، وبيِّنت أن دين الإسلام دين يتمايز عن هذه الأديان وهذه الطرائق {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون / 6]، ابن القيم ذكر عدة أمور قال: أول شيء أن (ما) جاءت بمعنى بمن في هذه السورة. الأمر الثاني قال ما فائدة تكرار الأفعال؟ قال أن قوله{لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ}[الكافرون / 2] نفيٌ للحال والمستقبل، وقوله{وَلَا أَنتُمْ

عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 3] أي لا تفعلون ذلك، وقوله{وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ} [الكافرون / 4] أي لم يكن مني ذلك قبل نزول الوحي ولهذا أتى في عبادتهم -لماذا أتى اللفظ الماضي؟- أي ما كانت مني ذلك، لم أعبد قط ما عبدتم.

وقوله {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ}[الكافرون / 5] أي لم تعبدوا قط في الماضي ما اعبده، وعلى هذا فلا تكرار لأنه يتكلم في المرحلة الأولى في قوله تبارك وتعالى: {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون / 2]، {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ}[الكافرون / 3] يتكلم عن الفترة الأولى، الفترة التي كانت قبل الوحي أنتم لم تعبدوا إلهي ولا أنا عبدت إلهكم، ثم جاء بعد ذلك اللفظة التالية لتُبين أمر الإستقبال وقالوا أيضًا: تكرير الأفعال بلفظ المستقبل حين أخبر عن نفسه وبلفظ الماضي حين أخبر عنهم قالوا في ذلك سر وهو الإشارة والإماة إلى عصمة الله لنبيِّه عن الزيغ والانحراف عن عبادة معبوده ولاستبدال به غيره وأن المعبود الحق واحد في الحال والمئال على الدوام لا يرضى به بدلا ولا يبغي عنه حِول وهذا دليل على الثبات واليقين.

فنحن نحتاج إلى أن نرفع هذا المعنى ونُكرره (لن نعبد إلا الله، ولن تُطبق فينا غير شريعة الله، ولن نتعبد ربنا إلا على الطريقة التي وضعها لنا وأرساها لنا رسول الله).

هذا هو المعنى المُستفاد من {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ}[الكافرون / 3]، {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ}[الكافرون / 4]، {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ}[الكافرون / 5]، إذًا ترفعها وتعلو بها ويعلو به صوتك (لا يكون ذلك) {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 3] والآن {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ}[الكافرون / 4]، على جهة الإطلاق تماما، قال ولم يأتي النفي في حقهم إلا باسم الفاعل ومن جهته جاء بالفعل تارة وباسم الفاعل تارة عندما قال : {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ}[الكافرون / 3]، عابدون : اسم فاعل لكن جاء مرة باسم الفاعل وجاء مرة {لَا أَعْبُدُ ...}[الكافرون / 2]، ومرة {وَلَا أَنَا عَابِدٌ...}[الكافرون / 4]، مرة أتى بها بفعل ومرة أتى بها باسم فاعل إنما في حقهم قال في المرتين باسم الفاعل قال : وذلك والله أعلم لحكمة بديعة وهي أن المقصود الأعظم براءته من معبودهم بكل وجه في كل وقت، فأتى أولاً بصيغة الفعل الدالة فصيغة الفعل تُعطي زمن، وتُعطي تجدُد فتُفيد الاستمرار فجاء بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدُد ثم أتى في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل، في الثاني أن هذا ليس وصفي كأنه يقول ذلك...هذا ليس وصفي ولا شأني فكأنه قال عبادة غير الله لا تكون فعلاً لي ولا وصفًا لي، لن أفعلها ولا يجوز أن توصفوني بها، فأتى بنفيين لهذين المقصودين.

أما في حقهم أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل أي هذا الوصف الثابت اللازم لكم إنما ثبت هذا لكم في كل حال لأنكم على ذلك لا تُغادرونه (عابدون).

ولما كان في هذا إشعار بمعنى مهم، أن من خص الله وحده بالعبادة ولم يُشرك معه فيها أحدا يستحقُ هذا الوصف الثابت اللازم الذي لا تستحقونه فأنتم لما عبدتم غيره لستم من عابديه، وإن عبدتموه في بعض الأحيان فليس بالعبادة التي يرضاها {...وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ...}[الأحقاف / 15]، إذًا أعبده بما أمر، أعبده بما يرضى، وأعبده سبحانه وتعالى كيفما أمر على طريقة النبي محمد ﷺ.

انظروا في المعنى ابن القيم يقول :

فتأمل هذه النُكتة البديعة كيف تجد في طيّها أنه لا يوصف بأنه عابد لله وأنه عبده المُستقيم على عبادته إلا من انقطع إليه بالكلية.

ضع معنى تكتبه بماء العيون من خلال هذه السورة لأنه معنى في غاية الروعة لا يوصف باسم عابد لا يصلح نقول عليكَ أو عليكِ عابد لله إلا من يعبد الله ويكون مستقيمًا على العبادة، وليس مُتذبذب، ليس يومًا يعبد ويومًا آخر يتخَلَف، ولا يستحق هذا المعنى إلا من تحقق بمعنى التَبَتُل لله ولانقطاع لله بالكلية، فلا يلتفت إلى غيره ولا يُشرك به أحدًا في عبادته، وأنه إن عبده وأشرك معه غيره فليس عابدًا لله ولا عبدًا له.

قال : "وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة التي هي إحدى سورتي الإخلاص والتي قيل أنها تعدل ربع القرآن وهذا لا يفهمه كل أحد ولا يُدركه إلا من منحه الله فهمًا من عنده" فانظر إلى تدبر ابن القيم رحمه الله وافهم .

إذًا هذه السورة عندما جاءت بهذا النفي {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ. وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون / 5]، ماذا تريد أن تقول؟

أن الإنسان لا يستحق صفة العبادة، لا يستحق اسم العابد إلا بالانقطاع التام لله فإذا كان في قلوبنا شيء مما يكره الله أو تعلُق بغير الله أو التفات إلى غير الله، لو في قلوبنا دنيا (تعس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أعطي رضي،

وإن لم يعط لم يرض). [الراوي: أبو هريرة المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 6435خلاصة حكم المحدث: صحيح].

لو في قلوبنا الدرهم والدينار والخميصة والمركز الاجتماعي وحظ النفس وهذه الأشياء لا يستحق الواحد منا اسم العابد، إنما عابد يتعلم أن ينقطع لله وأن يُصفّي حاله مع الله، وأن يكون الله الأول في قلبه ليس قبله شيء ولا بعده شيء سبحانه وتعالى. فلنفهم هذه الأسرار العظيمة في هذه السورة ونكون قد أخذنا معاني مهمة جدًا (ولاء وبراء) نُعلي بها رؤوسنا نغيظ بها الكُفار ونُجاهدهم بها{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون / 1] **ننفي عن أنفسنا هذا لن يحصل، ولن يكون، أن يكون لنا معبود غير الله وأن تكون لنا عبادة إلا كما كان عليها رسول الله ﷺ وننقطع لله، ونتبتل إلى الله، ونُخلص لله، لذلك سُميَّت بسورة الإخلاص؛ لأنه ينفي كل ما سواه سبحانه وتعالى، تجريد للتوحيد.**

تجريد للتوحيد الخالص، التوحيد الخالص. ألا لله الدين الخالص.

ابـن الـقـيـم يـقـول مـن الـفـوائـد أيـضًا : أن النفي في هذه السورة أتى بأداة (لا) {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ}[الكافرون / 2]**، دون (لن) (لن أعبد ما تعبدون) لماذا؟ قال : فلما تقدم أن النفي بـ (لا) أبلغ من (لن)، لأنها أدل على دوام النفي (لن) تُعطي وقت مُعين لن يكون هذا في المستقبل لكن قد يكون قد كان من الممكن أنه قد حدث من قبل، إنما (لا) أعطت المعنى سواء في الماضي أو في المستقبل، أو في الحاضر لذلك قال: {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} (لا أعبد) كأنه قال ما عبدت والآن لا أعبد وفي المستقبل لن أعبد.**

مـن الـفـوائـد أيـضًا قـال : اشتمال هذه السورة على النفي المحض فهذا هو خاصة هذه السورة العظيمة سورة البراءة من الشِرك، براءةٌ من الشِرك فالمقصود الأعظم لها والبراءة المطلوبة بين الموحدين والمُشركين وهو الولاء والبراء.

ولهذا أتى بالنفي في الجانبين كل السورة تسير بالنفي... {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2). وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(3). وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ(4). وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(5)} [الكافرون] **سارت هكذا كلها بالنفي تحقيقًا للبراءة، مع أنها مُتضمنة للإثبات لأن{لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ}**[الكافرون / 2] **إثبات أن له معبود يعبده وحده سبحانه وتعالى{وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ}** [الكافرون / 3]**، ولا أنتم فاعلون ذلك وأنتم بريئون من عبادته فكأنه كما قال إمام الحُنفاء إنني براءٌ مما تعبدون إلا الذي**

فطرني كأن الواحد يقول كذلك{لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ}[الكافرون / 2]، وإنما أعبد الله وحده لا شريك له.

فيقول : فانتظمت حقيقة لا إله إلا الله بسورة الكافرون التي فيها النفي، وبسورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}[الإخلاص / 1]، التي فيها الإثبات وكلها تسير على الإثبات ليس بها نفي{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(1). اللَّهُ الصَّمَدُ(2). لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(3). وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ(4)}[الإخلاص]، هذا في نفي الصفات عنه إنما في الإثبات قال{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(1). اللَّهُ الصَّمَدُ(2)}[الإخلاص] قال : فإن هاتين السورتين -سورتا الإخلاص- اشتملت على نوعي التوحيد الذي لا نجاه للعبد ولا فلاح له إلا بهما (توحيد العلم والاعتقاد) المُتضمن تنزيه الله عن ما لا يليق به من الشِرك والكُفر والولد والوالد، وإنه إله أحدٌ صمد (لم يلد) فيكون له فرع، (ولم يولد) فيكون له أصل، (ولم يكن له كفوًا أحد) فيكون له نظير، ومع هذا فهو الصمد أي الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها، فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال؛ ونفي ما لا يليق به من الشريك أصلاً وفرعًا ونظيرا، فهذا توحيد العلم والاعتقاد.

إذًا {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص / 1] توحيد العلم والاعتقاد، أما توحيد القصد الإرادة النوع الثاني من الأنواع توحيد العلم والاعتقاد الذي هو يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

أما توحيد القصد والإرادة فهو توحيد العبادة ألا يُعبد إلا إياه فلا يُشرك به في عبادته سواه بل يكون وحده هو المعبود، هذا ما جاء في سورة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} أقول مرة أخرى :

العلماء يُقسِّمون التوحيد بعدة سور يقولون التوحيد : توحيد ربوبية وألوهية وأسماء وصفات وهذا يسمى التقسيم الثلاثي ويُقسِّمونه تقسيمتين تقسيمة أخرى على نوعين: يسمونه توحيد العلم والاعتقاد، وتوحيد القصد والإرادة.

لو أردنا أن ندمج بين الأمرين :

- توحيد العلم والاعتقاد وهو الذي يساوي الربوبية وزائد عليها الأسماء والصفات.

- توحيد القصد والإرادة الذي يُساوي توحيد الألوهية أو توحيد العبادة.

التوحيد الأول توحيد العلم والاعتقاد و هو توحيد الربوبية والأسماء والصفات هذا تكفلت به سورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} أما توحيد العبادة تكفلت به سورة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} فسَّموها سورة توحيد الألوهية، سورة توحيد القصد والإرادة، فلا يُقصد إلا الله ولا يُراد إلا الله تبارك وتعالى أو سموه توحيد العبادة أو الألوهية كيفما كان هذا مدار التوحيد على هاتين السورتين، والله تعالى أعلى وأعلم.

فنسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من أهل التوحيد وأن يجعل لنا التوحيد الخالص، وأن يجعلنا من أهل الإخلاص، وأن يجعلنا من أهل الولاء والبراء، وألا نوالي إلا أولياء الله، ولا نُعادي إلا أعداء الله، وألا نُداهن في ديننا ولا نُميَّع شيئًا من أمر ديننا، وأن نُعلي راية التوحيد أبدًا، وأن يكون التوحيد دائمًا أبدًا هو أول ما يكون من اهتماماتنا ودائمًا أبدًا، وأن يكون أولاً في كل أعمالنا.

ومعلومٌ أن التوحيد أولا ودعوة الرسل تدور على ذلك ولا ينبغي أن يُجادَل أو يُمارَى حول هذا المعنى بل مدار الأمر كله على إثبات التوحيد لله تبارك وتعالى.

فأسأل الله عز وجل أن يتقبل منّا ومنكم وأن يأخذ بأيدينا وأيديكم إليه وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلَّ اللهم وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.